اتجاهات حديثة فى تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية

إعداد

د/ سامح إبراهيم عوض الله عبد الخالق

أستاذ المناهج وطرق تدريس المواد الاجتماعية والفلسفية المساعد

كلية الدراسات العليا للتربية– جامعة القاهرة

اتجاهات حديثة فى تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية

د / سامح إبراهيم عوض الله عبد الخالق*

مستخلص البحث:

استهدفت الورقة البحثية تقديم نماذج من الاتجاهات الحديثة فى تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية؛ من خلال رصد وتحليل أهم المحاور والأفكار التى استندت إليها هذه الاتجاهات الحديثة كأسس ومنطلقات يتم تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية فى ضوئها.

وقد توصل الباحث إلى وضع:

- قائمة بأهم القيم الاجتماعية والفلسفية التى يجب العمل على تنميتها لدى المتعلمين فى مختلف المراحل الدراسية.
- قائمة بأهم الاتجاهات الحديثة فى تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية.

وذلك من أجل الاستفادة بهذه الاتجاهات الحديثة عند تطوير مناهج المواد الاجتماعية والفلسفية فى مصر والوطن العربي.

الكلمات المفتاحية: الاتجاهات الحديثة – القيم الاجتماعية والفلسفية.

* **د/ سامح إبراهيم عوض الله عبد الخالق:** أستاذ المناهج وطرق تدريس المواد الاجتماعية والفلسفية المساعد– كلية الدراسات العليا للتربية– جامعة القاهرة.

مقدمة:

تعد قضية القيم الاجتماعية والفلسفية من القضايا المهمة التى شغلت الفكر الإنسانى عامة، نظراً لأهميتها البالغة فى تنظيم سلوك الأفراد داخل المجتمع، فكل مجتمع يسعى إلى الاستقرار والاستمرار فى الوجود، هو فى حاجة إلى نسق قيمى يتضمن أهدافه ومعتقداته ومثله العليا التى تنظم الحياة فى داخله، وتحدد العلاقات والسلوكيات المرغوبة وغير المرغوبة بين أفراده.

لقد كانت القيم موضع اهتمام الفلاسفة والمفكرين وعلماء الاجتماع قديمًا، وما زالت الحاجة تزداد إلى تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية فى هذا العصر الذى يموج بالتطورات العلمية والتكنولوجية الحاصلة فى الحياة، تلك التى تتطلب نمطًا جديدًا من الاهتمام بمناهج المواد الاجتماعية والفلسفية؛ يتمثل فى البحث عن آليات للربط بين القيم والحياة والمجتمع والمستقبل.

وتبدو العلاقة الوثيقة بين التربية والقيم، فكلاهما مترابطان متشابكان لا يمكن الفصل بينهما، بحيث يستلزم كلا منهما الآخر ويستحضره، ولا يمكن لأى منهما تحقيق غايته إلا من خلال الآخر؛ فلا تربية بدون قيم، ولا قيم بدون تربية، فالتربية هى الوسيط الأساسي لغرس القيم وتنميتها، والقيم تمثل محتوى العملية التربوية.

ومن الجوانب التى تزيد من أهمية تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية ما أدت إليه ثورة الاتصالات والمعلومات، وعولمة الاقتصاد والسياسة، من تغيرات ثقافية وقيمية، تزداد كل يوم وتيرتها على كل مجتمعات العالم، وستشكل هذه إحدى أهم التحولات والتغيرات التى أثرت وستؤثر فى تشكيل مجتمع القرن الحادى والعشرين ومن ثم معالم وتوجهات المؤسسات التعليمية. (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: ٢٠٠٠: ٢٧) كما أن المثل والأخلاق والقيم هى الزاد الروحى الذى بدونه لن يتمكن الإنسان من الحياة فى عصر المعلومات، الحافل بالاحتمالات والتناقضات.(نبيل على: ٢٠٠١: ٤٠٤)

وتعد القيم ركيزة أساسية من ركائز العملية التعليمية، كما تمثل أهم غاياتها ووظائفها، ولذلك تتحمل المؤسسات التربوية والتعليمية مسؤولية بناء القيم وغرسها وتنميتها لدى أفراد المجتمع.

ولذا يجب على المناهج التعليمية أن تجد السبل لمواجهة التحديات المعاصرة مراعيةً تعدد تصوّرات العالم، والأنظمة المعرفية المغايرة، ومراعية أيضًا التخوم الجديدة التى وصل إليها العلم والتكنولوجيا، مثل ما أُحرز من تقدم فى علوم الأعصاب، ومن تطوّر فى التكنولوجيا الرقمية. (اليونسكو: ٢٠١٥: ١٠)

أما عن المدرسة والقائمين عليها فلها دور أخلاقي وقيمي يجب ألا يغفل أو يتم تناسيه أو التغاضي عنه بشكل مقصود في وسط الاهتمام بتنظيم محتوى المناهج والمواد الدراسية وتنظيم الجدول المدرسي وتوزيع الحصص والفصول الدراسية ووضع الامتحانات والإشراف عليها.

لكن الواقع يدل على أن الدور الذي تقوم به المدرسة يتجه إلى ما يمكن تسميته بـ (ثقافة الذاكرة) وليس (ثقافة الإبداع)، وثقافة الذاكرة تقوم على الحفظ والاستظهار، ومعيارها هو التقليد، أما ثقافة الإبداع، فتقوم على الجدل والحوار ومعيارها هو الابتكار.(سعيد إسماعيل: ١٩٨٩: ١٠٣)

فلم تعد المدرسة تؤدي دورها التربوي والأخلاقى والعلمي مثلما يفترض أن تكون كأحد مصادر تشكيل القيم والأخلاق والعلوم، وأحد المصادر التي تشير إلى مدى تقدم المجتمع ورقي أفراده، فقد تفشت العديد من الظواهر السلبية فى المدرسة والمجتمع.

مفهوم القيم الاجتماعية والفلسفية:

القيمة في اللغة العربية واحدة القيم، ويقال: قام الأمر واستقام أي اعتدل، وقام الحق: ظهر واستقر، والقائم: الثابت. وقوام الإنسان: قامته وحسن طوله، وقوام (بكسر القاف): كل شيء عماده ونظامه، وتقوم الشيء (فعل لازم): تعدل واستوى وظهرت قيمته، وقوم المعوج: عدله وأزال عوجه، والقيم: السيد وسائس الأمر، ويقال: قام فلان على الشيء إذا ثبت عليه وتمسك به، والملة القيمة: المعتدلة، والأمة القيمة: المعتدلة، وفي التنزيل الحكيم: " وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ" (البينة: ٥)، كما تدل كلمة (القيمة) على: الثمن الذي يُقومُ به المتاع، أي يقوم مقامه من غير زيادة ولا نقصان. (المعجم الوسيط، ٢٠١١)

وتعد القيم من موجهات السلوك الإنسانى، فهى التى تضفى على ظواهر السلوك الإنسانى مغزاه الاجتماعي، وهى السلوك، أو الحكم الذى يكون موضوع إيثار وتفضيل واختيار أخلاقى من طرف مجموعة من الناس.

وقد أكد الدين الإسلامى أهمية القيم والأخلاق في حياة الإنسان، ودورها في الحفاظ على توازن الأسرة والمجتمعات بشكلٍ عام، فلا يمكن تصور حياة الإنسان من دون قيم تحكمه، وهذا ما ورد فى العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، قال الله تعالى: {إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} (الإسراء: ٩)، وقد وصف سبحانه وتعالي رسوله الكريم في كتابه بأنه على خُلُقٍ عظيم: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم: ٤)، ويقول الرسول ﷺ: (إنما بُعثتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الاخلاقِ).

وإن كانت الفلسفة بمبحثها فى القيم تسعى إلى السمو بالإنسان عن الاستغراق فى الغرائز والشهوات، فإن القيم تمثل أهم الموضوعات التى يهتم بها علماء الاجتماع، حيث صيغت العديد من النظريات والبحوث الاجتماعية حولها، كما أفرد علماء الاجتماع للقيم والظواهر

الأخلاقية فرعا من فروع علم الاجتماع يطلق عليه علم الاجتماع الأخلاقى أو علم اجتماع القيم.

إن القيم الاجتماعية والفلسفية هى معايير للحكم على فكر وسلوك الفرد فى المجتمع، فهى تمثل الإطار المرجعى الحاكم الذى ينظم أفكار الإنسان وأفعاله فى مواقف الحياة المختلفة، يكتسبها الفرد فى حياته كما يكتسب المعارف والعادات والاتجاهات والمهارات عن طريق الخبرة.

وتعرف القيم الاجتماعية بأنها الخصائص أو الصفات المرغوب فيها بين أعضاء المجتمع الواحد التى توجه سلوكهم والتي تحددها الثقافة القائمة، مثل التسامح والحق والعدل والأمانة والشجاعة والتعاون والإيثار والقوة، وهي أداة المجتمع للحفاظ على النظام والاستقرار به.

لقد اهتمت الفلسفة منذ نشأتها وحتى اليوم بالقيم الإنسانية حتى أن موضوعها استمر كمبحث أساسى من مباحث الفلسفة العامة، إلى جانب مبحثى الوجود والمعرفة، ويتضمن مبحث القيم ثلاث قيم عامة رئيسة هى: الحق، والخير، والجمال. وقد تفرع من هذه القيم عدد من القيم الفرعية مثل: التفلسف، البحث عن الحقيقة، الاستقلال الذاتى، النزعة الإنسانية، الحرية الإنسانية...وغيرها.

وبهذا تشكل القيم الفلسفية والاجتماعية بوصلة التوجيه والإرشاد للإنسان فى حياته فكرًا وسلوكًا، وهى لا تقتصر فقط على إيضاح ما ينبغى أن يكون؛ ولكنها بالإضافة إلى ذلك تصف وتوضح للإنسان كيف يتفلسف، وكيف يعيش فى المجتمع، وكيف يشك ومتى، وكيف يبحث عن الحقيقة، وكيف يستقل ذاتيًا، وكيف يحيا كإنسان، وكيف يمارس حريته، فهى تضع الأسس والقواعد لما يجب أن يكون، وتحدد في الوقت ذاته كيف يكون.

فالقيم الاجتماعية والفلسفية هى التي تنشئ الفرد مواطنًا صالحًا، يعيش لمجتمعه، ويتسق معه، ويعمل لخدمة أهدافه، ومثله، ومبادئه (محمد زيدان، ٢٠٠٦، ٤)، وهنا يتضح الجانب الاجتماعي للقيم الفلسفية بجوار باقي الجوانب والأبعاد (المعرفي، الوجداني، السلوكي).

ومن ثم فإن القيم هى الشرط المسبق الذي يحدد سلوك الذات الإنسانية وينظم مقومات الفعل الإنساني، وهى العلة الكامنة وراء كل سلوك هادف، ومن هذا المنطلق فإن القيم هى التي تطفي على ظواهر السلوك الإنساني مغزاه الاجتماعي. (عبد الودود مكروم، ٢٠٠٥، ٤٥)

إن السلوك الاجتماعى فى جوهره يقوم على أساس مبدأ النظام الذى يحكم العلاقات بين الأفراد، ويبنى على نسق للقيم يتمثلونه بينهم، والواقع أن الكثير من المشكلات الاجتماعية والأزمات تنجم عن ضعف التجانس بين قيم الجماعات المختلفة داخل إطار المجتمع الواحد،

أو انحراف بعض الأفراد عن القيم السائدة لا سيما إذا شاع عدم الالتزام بها، وسيؤدى ذلك إلى اختلال المعايير أو ما يسمى الأنومى. (خالد تلعيش وفطيمة حدادو، ٢٠٢١، ١٤٣)

وقد توصل الباحث إلى قائمة بأهم القيم الاجتماعية والفلسفية التى يجب العمل على تنميتها لدى المتعلمين فى مختلف المراحل الدراسية:

كانت الفلسفة قديمًا تلقب "بأم العلوم" ومع بداية عصر النهضة بدأت تلك العلوم فى الاستقلال التدريجى عن الفلسفة، حتى أصبح مجال البحث الفلسفى قاصرًا على دراسة ثلاثة مباحث رئيسة هى: الوجود، المعرفة، القيم.

ويهتم مبحث القيم بدراسة ثلاث قيم أساسية هى:

١. **قيمة الحق:** تهتم بوضع المعايير العامة للفكر الصحيح، ويدرسها علم المنطق.

٢ . **قيمة الخير:** تهتم بوضع المعايير العامة للسلوك القويم، ويدرسها علم الأخلاق.

٣ . **قيمة الجمال:** تهتم بوضع المعايير العامة التى يجب توافرها فى الشىء الجميل.

- **قيمة التفلسف:**

إن الفلسفة ليست فكرًا متعاليًا عن الحياة والناس، تستقل به جماعة وحدها، وإنما هى تعبير عن انشغال كل إنسان بالتفكير والبحث عن الحقيقة والفضيلة، والفلسفة بهذا المعنى ليست مجرد متعة عقلية، أو رياضة ذهنية هدفها البحث فى المجهول، ولكنها طريقًا لتدريب العقل على التفكير والتأمل والحكم السليم.

وتُكسب قيمة التفلسف الطلاب العمق والتآنى فى التفكير، وسداد الرأى، وتربى فيهم ملكة النقد الدقيق والحكم واتخاذ القرار السليم، وفهم أمور الحياة فهمًا صحيحًا، أى أنها ترتفع بمستوى عقولهم وتنمى مهارات التفكير والوعى لديهم بأمور الحياة وقضاياها.

يقول أرسطو: " إن الإنسان الذي وهب ملكة العقل سيختار الفلسفة، لأن التفلسف هو مهمة هذه الملكة " ، ويقول مارتن هيدجر: «عندما نسأل: ما الفلسفة؟... فالهدف هو أن ندخل فى الفلسفة، وأن نقيم فيها ونسلك وفق طريقتها، أن نتحرك داخل الفلسفة لا أن ندور من الخارج حولها، أى أن (نتفلسف) إذن فالتساؤل عن ماهية الفلسفة هو فى حد ذاته فلسفة، ويقول ديكارت: "إن حضارة كل أمة إنما تقاس بقدرة أفرادها على التفلسف الجيد، وهكذا فإن الخير كل الخير بالنسبة لأمة ما، أن يكون فيها فلاسفة حقيقيون".

وقد يتبادر إلى الذهن التساؤل عن الموضوعات التى يمكن أن يتناولها العقل الإنسانى بالتفلسف، والإجابة عن ذلك أن كل ما فى الوجود جدير بأن يكون موضع تساؤل من الفيلسوف.

أدوات فعل التفلسف:

- **الدهشة:** وهى ليست انفعالًا نفسيًا، بل هى موقف عقلى واع تنبثق عنه أسئلة عقلية حول ظواهر الوجود، تساعد الفرد فى الوصول إلى الحقائق، فالفلسفة كما يراها أرسطو وليدة الدهشة.
- **الشك:** وهو هنا ليس جهلًا، بل هو موقف عقلى واع يتبناه صاحبه بعد تفكير عميق؛ ويصل به إلى الحقيقة واليقين المنشود، ويمثل الشك المنهجى سقراط فى الفلسفة اليونانية القديمة، وحجة الإسلام الإمام الغزالى فى الفلسفة الإسلامية، والفيلسوف الفرنسى ديكارت فى الفلسفة الحديثة.
- **التساؤل:** اشتهرت الفلسفة أول ما اشتهرت بممارسة السؤال، وأشهر من مارس السؤال فى الفلسفة هو أبو الفلسفة اليونانية سقراط غير أن السؤال الفلسفى لم يتخذ شكلًا واحدًا.

قيمة البحث عن الحقيقة (حب المعرفة):

ترتبط قيمة البحث عن الحقيقة بالمعرفة الإنسانية التى تتحدد من خلالها علاقة الإنسان بذاته، وبغيره وبالعالم كله من حوله، وتعد الفلسفة فى أحد معانيها علما للمعرفة العقلية الكلية المجردة، بدليل أن البحث فى المعرفة يعد أحد المباحث الرئيسة للفلسفة، وهو يدور حول معرفة الوجود، ووسائل معرفته وإدراكه، وامكانية معرفة حقائقه.

لقد كانت الفلسفة منذ نشأتها وطوال عصور التاريخ محاولة للبحث عن الحقيقة كقيمة فلسفية أصيلة، وقد برهنت جهود الفلاسفة وأقوالهم على صحة هذا التوجه.

ويتيح التفلسف الفرصة للإنسان للبحث عن الحقيقة واكتشافها، والتعبير عنها، فإن لم يعرف أو يكتشف الإنسان الحقيقة بنفسه، تحول إلى ناقل وليس مكتشف، وهذا ما عبر عنه أفلاطون بتأكيده ضرورة أن يبحث كل إنسان عن الحقيقة بكل روحه.

ويربط الحسن بن الهيثم بين البحث عن الحقيقة وحب المعرفة وبين الإيمان الدينى، وذلك من قوله: سعيت دوما نحو المعرفة والحقيقة، وآمنت بأنى لكى أتقرب إلى الله، ليس هناك طريقة أفضل من أن أبحث عن المعرفة والحقيقة.

إن أول خاصية تتميز بها الروح الفلسفية إنما هى البحث والسعى المستمر نحو المعرفة والحقيقة، ولا تقتصر مهمة الفلسفة على الإجابة عن الأسئلة المطروحة على الساحة الفكرية فقط؛ بل هى أيضًا تعمل على طرح مزيد من الأسئلة فى محاولة للتوصل إلى مزيد من المعرفة والحقائق.

ومما لا شك فيه أنه كلما تقدم الإنسان وارتقى زاد عدد الحقائق التى يعرفها، مما يؤدى إلى استقرار المجتمعات وازدهارها حضاريًا.

ومن مواصفات الحقيقة التى يسعى الفيلسوف للوصول إليها أن تكون منزهة عن الأهواء والانطباعات الذاتية، وناتجة عن جهد عقلى وروحى خاص، وإذا كانت الحقيقة نقيضًا للخطأ والوهم والظن والتسرع والأحكام المسبقة، فإن كل هذه الأضداد تجتمع تحت مسمى واحد يمكن أن يطلق عليه "الرأى"، والمعضلة الفلسفية هنا تدور حول من يقيم الرأى أولاً ليحكم على حقيقته أو خطأه؟ ومتى يتحول الرأى إلى حقيقة؟

- **قيمة الحرية الإنسانية:**

الحرية الإنسانية كانت وما زالت قيمة الإنسان الفلسفية والاجتماعية الأولى عبر التاريخ، وهم الفلاسفة الدائم، وهى أكثر القيم الفلسفية والاجتماعية اتصالًا بالعلم والأخلاق والاجتماع والسياسة. فقد عرفها الإنسان وتناولها الفلاسفة والمفكرون منذ أمد بعيد، غير أنها صارت فى العصر الحالى أكثر بروزًا على الساحة ليس المحلية فقط بل العالمية، فقد فرضتها بقوة مجموعة من التغيرات والتطورات فى شتى المجالات: الفكرية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية.

وتعنى قيمة الحرية بمعناها الفلسفى والاجتماعي الصحيح الدقة فى عمل الموازنة بين اختيارات الإنسان لأفعاله، وبين معرفته بالنتائج والمسؤوليات المترتبة على هذه الأفعال.

ونتيجة لهذه الأهمية التى تشغلها قيمة الحرية الإنسانية، فقد تعددت التعريفات والمعانى التى تترجمها فى أرض الفكر وحيز الواقع، حتى وصلت هذه التعريفات إلى ما يقرب من المائتى تعريف، على أن معظم المعانى والتعريفات تدور حول الفهم الآتى:

- التعريف القديم لقيمة الحرية: الحرية ضد الرق والعبودية، والإنسان الحر هو الذى يملك نفسه، فهو سيدها، وعكسه العبد المملوك لغيره.

ومن التعريفات الحديثة لقيمة الحرية ما يلى:

- قيمة الحرية هى قيمة فلسفية اجتماعية تمنح الأفراد والجماعات حقوق التصرف، شريطة أن لا تمس هذه الحقوق حقوق الآخرين، ولا تتقاطع مع ضوابط وقوانين المجتمع وتعليماته ومثله وعاداته وتقاليده، وتعد حرية الأفراد والجماعات من العوامل الأساسية لتنمية وتقدم المجتمع فى المجالات كافة.
- قيمة الحرية هى قدرة الفرد على الاختيار (أهدافه وسلوكه ومعتقداته....) وفق إرادته الخاصة، دون تدخل عوامل تؤثر فى تلك الإرادة.

والملاحظ أن التعريفات الحديثة لقيمة الحرية من الجانب الفلسفى والاجتماعى تدور حول: الإرادة والتضحية، والتصرف المشروط، والديمقراطية، وامتلاك السيادة، والقدرة على الاختيار.

وتعد الحرية منحة إلهية، وأيضًا كسب إنسانى، وقد كان رأى بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع صحيحًا حين ربط حرية الإنسان بوجوده ونفى أى فارق بينهما، ورأى أن الإنسان

يكون ناقصًا ما دامت حريته ناقصة، وهذه الحرية إن وجدت الظروف المناسبة التى تنمو فيها أثمرت ثمرة الإبداع، وفجرت الطاقات للحركة والبناء.

الحرية إحدى القيم الإنسانية الكبرى، ودعامة مهمة من دعائم الشخصية، وأساس للحساب والمسؤولية، والحرية محببة لذاتها، لأنها مجاراة للطبيعة، ومثلها الأعلى أن تتحقق فى الفكر والاعتقاد، والقول والعمل.

وترتبط قيمة الحرية الإنسانية بقيمة المسؤولية تلك التي تعنى مسؤولية الإنسان عن نتائج أفعاله وأعماله واختياراته، فإما ثواب أو عقاب.

كما تنص المادة الأولى من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى هذا الحق على أنه: " يولد جميع الناس أحرار متساوين فى الكرامة والحقوق وقد وهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء". كما تنص المادة الرابعة على أنه: "لا يجوز استرقاق أو استعباد أى شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعها".

- **قيمة الاستقلال الذاتى:**

هى الإحساس بالتكافؤ أمام الآخر وليس بالدونية، كما أنها تعنى الثقة بالنفس وليس الخضوع والتبعية للغير، فتساعد الفرد على اتخاذ قراراته بنفسه بلا تحكم من الآخرين، مما يساعده فى اكتشاف ذاته والتعرف على قدراته الحقيقية، فيعالج مواطن الضعف، وينمى مواطن القوة، ويمثل هذا الشعار السقراطى "اعرف نفسك بنفسك".

قيمة الاستقلال الذاتى تمكن الإنسان، من تكوين وجهة نظر خاصة به، ومذهب فكرى يعتقده، ليسلك فى النهاية سلوكاً يميزه عن الآخرين.

ويعد الاستقلال الذاتى قيمة تتوسط رذيلتين أو طرفين مذمومين هما: الغرور والتبعية، فبين الغرور والإعجاب بالنفس وبين التبعية واحتقار النفس وعدم الاعتداد بها، توجد قيمة الاستقلال الذاتى.

ولا يعنى الاستقلال الذاتى الإنغلاق الفكرى، وإنما يعنى الانفتاح على أراء وخبرات الآخرين والبناء عليها، كما لا يعنى الاستقلال الذاتى الانفراد بالرأى، خاصة إذا كانت القضية المطروحة تمس حياة الآخرين.

ومن مظاهر تحقق قيمة الاستقلال الذاتى:

- الحرية فى اختيار الأفكار والآراء التى تعبر عن الشخصية.
- الحرية فى ممارسة النقد الفكرى للمذاهب والآراء الفلسفية والاجتماعية.
- التفكير الذاتى، واختيار موقف ما وتأييده بالأدلة العقلية اللازمة.

ويتوجب على الفيلسوف وعالم الاجتماع أن يكون مستقلًا فى تفكيره، بحيث لا يخضع لقيود آراء وأفكار الآخرين بغض النظر عن حظها من الحق والصدق، ولا يستسلم للعادات والتقاليد التى تحتاج إلى مراجعة فكرية، وقد جسد سقراط أروع الأمثلة على قيمة الاستقلال الذاتى حينما واجه الرأى العام فى مجتمعه من جهة، والسوفسطائيين من جهة أخرى.

وللاستقلال الذاتى أهمية كبيرة فى حياتنا تتمثل فى:

١- المساعدة على تحقيق الفوز والنجاح فى الحياة.
٢- المساعدة على تطور التفكير والارتقاء به.
٣- تنمية ملكة البحث الحر والتفكير الناقد.
٤- تعدد المذاهب والآراء الفلسفية والاجتماعية حول الموضوع الواحد، حتى بين الطالب وأستاذه نجد الاستقلال فى الرأى، وقد جسد أرسطو الاستقلال الفكرى حينما انتقد فكر أستاذه أفلاطون.

- **قيمة النزعة الإنسانية:**

إن معرفة الإنسان نفسه، أو معرفة البشرية ذاتها، تساؤل قديم حديث فى نفس الوقت، حيث كان موضع اهتمام الناس عبر العصور، ولذلك بقى الإنسان وسيبقى مركز البحث الفلسفى والعلمى والاجتماعى.

مفهوم النزعة الإنسانية: على المستوى اللفظى هناك عديد من المسميات التى تصف النزعة الإنسانية ومنها: الأنسنة، والإنسانية، والمذهب الإنسانى، وغيرها... أما على المستوى الاصطلاحى، فقد تعددت دلالات هذا المصطلح عبر العصور، وتغيرت أحيانًا بتغير الزمان والمكان، حيث نجد عديد من التعريفات والمعانى التى ترى أن: النزعة الإنسانية هى القيمة التى تنظر للإنسان كإنسان، وليس حيوان أو آلة، فهو إنسان له وحدته، وصفاته التى تميزه، وإرادته، وحريته فى الاختيار، ولذلك فهو مسئول عن أفعاله وتصرفاته.

والمنطلق الأساسى لهذه النزعة هو أن الإنسان مدفوع لفعل الخير بطبعه، وأن لديه دافع أساسى للارتقاء والإبداع، ولهذا فإن التفلسف والتفكير من شأنه أن يساعد الإنسان على اكتشاف امكانياته الحقيقية، وتحقيق ذاته. ومن أهمية النزعة الإنسانية ما يلى:

- الاهتمام بالإنسان بما هو إنسان، والعمل على إطلاق قدراته وإمكانياته.
- تغليب الجانب الروحى على الجانب المادى.
- التأكيد على التفوق الإنسانى وترجيح التفكير العقلانى الحر.
- التركيز على الصفات الإنسانية الحميدة والفريدة التى تميز الإنسان.
- الاهتمام بالبحث والتفكير المستمر عن معنى وجود الإنسان وحياته.
- النظرة الإيجابية للحياة.

وقد تطورت قيمة النزعة الإنسانية عبر تاريخ الإنسانية الطويل، كما تطور مفهومها مع تطور التفكير الفلسفى؛ فأفكارها الأولية قديمة، قدم التفكير الفلسفى للإنسان، فكانت البداية بفكرة "الإنسان أعلى قيمة فى الوجود"، ومرت بمراحل تطور من أهمها:

١- **مرحلة الفلسفة اليونانية:** يعتبر فلاسفة اليونان من أمثال طاليس، وأبيقورس، وبروتاجوراس، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وغيرهم... المرجعية المركزية لقيمة النزعة الإنسانية، فيذكر لبروتاجوراس شعاره "الإنسان معيار كل شىء"، وبالطبع لا يمكن إغفال دور كل من: بوذا، وكونفوشيوس، وزرادشت، وغيرهم من الفلاسفة الآسيويين.

٢- **مرحلة عصر النهضة:** وفى هذه المرحلة يتجلى بوضوح الاهتمام بالإنسان، حيث ظهرت فى ايطاليا حركة "النهضة الإنسانية "، وهى حركه للإصلاح الثقافى والتعليمى والأخلاقى، عن طريق إحياء التعلم الكلاسيكى، القائم على الأدب اليونانى واللاتينى، قام بها معلمون وباحثين وكُتاب أطلق عليهم لقب الإنسانيون.

٣- **مرحلة عصر التنوير:** تجمع عدد من الفلاسفة والمثقفين الأوروبيين فى القرن الثامن عشر حول مشروع قائم على النزعة الإنسانية، وكانت باريس هى مركز ذلك المشروع الذى ركز على العقل النقدى فى تفسير الظواهر الإنسانية. وقد كان المؤرخ الألمانى جورج فويت Georg Voigt أول من استخدم مصطلح "النزعة الانسانية" ، لوصف هذه المشروع فى العصر الحديث.

٤- **مرحلة القرن التاسع عشر:** شهد القرن التاسع عشر تطورات علمية مهمة؛ انعكست على مشروع النزعة الإنسانية، إذ تأكدت قدرات العلم على تحقيق التقدم من خلال زيادة الإسراف فى الاعتماد على الآلة، هذا الإسراف الذى قد يقضى على العلاقات الإنسانية.

٥- مرحلة القرن العشرين: شهدت قيمة النزعة الإنسانية فى نهاية القرن العشرين وفى عام ١٩٩٦م بالتحديد تطورات مهمة؛ حيث اعتمدت الجمعية التشريعية العامة للاتحاد الإنسانى والأخلاقى الدولى، بيان الحد الأدنى من الإنسانية، وهو بيان تعريفى يوضح معنى كلمة الإنسانية ونصه: " الإنسانية هى الديمقراطية، والموقف الأخلاقى فى الحياة، والذى يؤكد أن للبشر الحق والمسؤولية لاختيار شكل ومعنى حياتهم. إنها تقف من أجل بناء مجتمع أكثر إنسانية..."، وهذا البيان يمثل أول تعريف عالمى للنزعة الإنسانية.

٦- **مرحلة القرن الحادى والعشرين:** اجتمع فى مارس ٢٠١١ م، الفريق المعنى بالسلام والحوار بين الثقافات التابع لليونسكو فى مقر الأمم المتحدة، وهو فريق مؤلف من حوالى عشرين شخصية تمثل جميع قارات العالم، حيث أكد هذا الفريق فى وثيقة عنوانها(نحو إنسانية جديدة وعولمة تتسم بالمصالحة): أنه ينبغى ترسيخ النزعة الإنسانية الجديدة فى

مجال التنوع الثقافى والحوار فى عصر التكنولوجيات الجديدة والمصالحة بين الشمال والجنوب. ووفقاً لهذه الوثيقة فإن الهدف من النزعة الإنسانية الجديدة إنما يتمثل فى تهيئة مناخ يتيح تفهم مشاعر الآخرين، وذلك من خلال الشعور بالانتماء، وكذلك من خلال التفاهم المتبادل.

- **قيمة الحوار:**

يعتبر الحوار الأداة الرئيسة التي يعبر بها الإنسان عن نفسه وشخصيته من أجل التأثير في الآخرين ومحاولة إقناعهم بمذهبه ومنطقه الفكري، وفي نفس الوقت يتيح له الفرصة لكي يستمع إلى آراء الآخرين.

ويأخذ الحوار إما الشكل الشفهي المتبادل بين فردين أو أكثر، سواء في المنزل أو الشارع أو المدرسة أو النادي أو المسرح، وإما الشكل المطبوع في الصحف والمجلات أو عبر شبكة الإنترنت، فيكون على شكل عرض وجهات النظر أو التعقيب عليها أو المداخلة معها.

وقيمة الحوار قيمة فلسفية اجتماعية "ترفض الثبات وتتوجه إلى الصيرورة والتغيير، وهى بذلك تقف ضد الجمود (الدوجماطيقية) وتدعو إلى البحث في الجديد من خلال تناول الأشياء بالحوار والنقاش ورفض الرأي القاطع، ومن ثم ترتبط بقيمة التسامح الفكري، واللا تعصب واللا تطرف والفاعلية، وهى قيمة تربوية؛ لأنها تخرج بالناشئة عن نطاق ذواتهم، وتدربهم على آداب الحوار والاستماع للرأي الآخر، ومن ثم تكسبهم قيم التسامح والتواضع في مقابل التسلط والعنف والتعصب".(إلهام عبد الحميد: ١٩٩٢: ٣١٤)

حتى إن ثقافة المجتمع وحضارته لا يمكن أن تتطور من خلال عزل نفسها عن باقي الحضارات، ولكن من خلال قدرة هذا المجتمع على الاتصال والحوار مع الحضارات والمجتمعات الأخرى وهذا يعني أن غياب الحوار سواء على مستوى الأفراد أو المجتمعات، إنما هو حكم بالعزلة والفناء، وقتل للإبداع والابتكار، حيث تسود الاتجاهات السلبية من اختفاء النقد وتعدد الآراء، والتسليم بالرأي الذي تحميه السلطة، وفقدان الهوية الذاتية للفرد أو المجتمع.

- **قيمة الشك المنهجي:**

الشك هو نقيض كل تسليم وثبات على حقيقة أو مسلمة أو معتقد بلا فحص وتمحيص ونقد دائم، ومراجعة مستمرة، حيث تساوى هذه القيمة بين كل الأفكار والمعتقدات من حيث الحكم بمدى الصلاحية، ثم تتحق منها بإتباع التفكير الفلسفي القائم على النظر العقلي والتأمل والتحليل النقدي.

والشك هو حالة فكرية يكون العقل الإنساني فيها معلق بين احتمالين أو اختيارين متناقضين، وغير قادر على تصديق أو اختيار أي منهما؛ وقد عرف "الجرجاني" الشك في معجمه الفلسفي "التعريفات" بقوله: "هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر

عند الشك". وقيل إن الشك هو ما استوى طرفاه وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب (أو العقل) إلى أحدهما.

فالشك إذن قيمة ذات طبيعة فلسفية، تدفع صاحبها إلى رفض كل إجابة سهلة ومتوقعة وبديهية لأي أمر مطروح، وتجعله يسعى إلى ما وراء هذه الإجابات، والشك فيها لحين التثبت من صدق بيانها وصحتها فتتحول إلى يقين.

ويقوم الشك المنهجى بعملية مراجعة نقدية، ويتخذ الشخص الشاك نهج الحكم المعلق أو تعليق الحكم، وصدق الإمام الشافعي حين قال: ينبغي لمن أراد الكلام أن يفكر قبل كلامه، فإن ظهرت فيه المصلحة تكلم، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر.

ومن الأمور الثابتة أن نزوع الناس إلى إهمال التفكير في الأمر متى أصبح غير قابل للشك هو السبب في نصف ما يرتكبون من الأخطاء، ولقد أحسن بعض الكتاب المعاصرين ما شاء في قوله أن الرأي الثابت المستقر عرضه للاستغراق في سبات عميق".(جون ستيوارت ميل:١٩٩٧: ٦٦)

ويتمثل هدف الشك المهجى فى البناء وليس الهدم فهو مقبول فلسفيًا واجتماعيًا، حيث يسعى إلى بناء الحقائق والمعتقدات والمذاهب الفكرية على أسس سليمة، بعد فحصها فحصًا دقيقًا، وعدم التسليم بكل ما هو متعارف عليه أو موروث بلا نقد أو مناقشة، أما إذا كان هدف الشك هو الهدم فهو مرفوض، حيث يسعى إلى هدم كل حقيقة أو معتقد أو مذهب فكري قائم بشكل دائم مطلق، مما يؤدي إلى زعزعة ثقة الإنسان في كل شيء، وهذا ما يطلق عليه الشك المذهبي.

التسامح الفكرى والاجتماعى:

يُعد التسامح الفكرى والاجتماعى أحد أهم أسباب استقرار المجتمعات وتقدمها ورقيها، حيث تسود المجتمع المتسامح علاقات اجتماعية إيجابية، قوامها التوافق والبناء والارتباط والتماسك ضد الصراع والتفكك والانقسام، فتقضى قيم إيجابية كالتعاون والتعاطف والتضامن والتضحية، على قيم سلبية كالعزلة والتشاحن والتباغض والأنانية.

وتتضمن قيمة التسامح الفكرى والاجتماعى منظومة متكاملة من القيم الفرعية التى توجه وتحكم فكر وسلوك المتعلم وتفاعلاته الاجتماعية، وتتمثل فى رغبة الطالب وقدرته على تقبل ذاته، وتقبل الآخر واحترام معتقداته وأفكاره وعاداته وتقاليده حتى لو لم يتفق معها، والتعايش السلمى معه، والتراحم والتعاطف معه، والعفو والتجاوز عن سلوكه الخطأ أو السلبى الذى لا يتجاوز المعايير القانونية.

وقد عُرف التسامح الفكرى والاجتماعى بأنه مسألة إحجام عن التدخل فى سلوك الآخرين، بالرغم من عدم مواقفتنا عليه من الناحية الأخلاقية مع القدرة على منع هذا السلوك، ولهذا يعد التسامح من أهم القيم التى يجب أن تهتم بها التربية فى مجتمع متعدد. (عبد الودود مكروم: ٢٠٠٥: ٢٠٩)

ويُعرف (عبد القادر الشيخلى: ٢٠١٧: ١٠) التسامح بأن تتقبل الآخر المختلف عنك لكى تعيش معه بصورة طبيعية دون أن يغضبك فكره، أو يضيق صدرك من دينه، أو تستاء من معتقده، بينما تحدد (عبير الدويلة: ٢٠١٢: ٥٢) معنى التسامح فى مدى إقبال الفرد على التطبيق العملى لمعنى الالتزام والاحترام لمعتقدات الآخرين وعاداتهم ومشاعرهم.

وفلسفيًا يُعرف (أندريه لالاند:٢٠٠١: ١٤٦٠) التسامح بأنه طريقة تصرف شخص يتحمل، بلا اعتراض أذى يمس حقوقه، بينما فى إمكانه رد هذا الأذى، وهو استعداد عقلى، أو قاعدة سلوكية قوامها السماح بحرية التعبير عن الرأى لكل فرد، حتى وإن كنا لا نشاطره رأيه، بينما يعرف (مراد وهبة: ٢٠١٦: ٢١٣) التسامح بأنه يعنى الحق فى الاختلاف، والسماح بحرية العقل أو الحكم على الآخرين.

ويدخل فى مفهوم التسامح الابتعاد عن كل أشكال التعصب والتطرف والغلو والتشدد والتزمت والانغلاق، والتغلب على كل نزعة أنانية ضيقة، والإقرار بنسبية الحقيقة، وبحق الجميع فى التفكير والاجتهاد، وأخذ كل طرف بعين الاعتبار حقوق الآخرين وحرياتهم. (نجية ناجى : ٢٠١٢: ٦٧٤)

يمثل التسامح قيمة مدنية وضرورة سياسية وأخلاقية واجتماعية، خاصة فى المجتمعات ذات التنوع السياسى، والدينى، ولا يعد وجود التسامح ضرورة لازمة للمجتمعات التى تعانى من نزاعات أو صراعات فحسب؛ بل إن وجوده ضرورة لازمة لكل المجتمعات حتى فى أوقات السلم. (وريدة خيلية: ٢٠١٨: ٩٠)

تعتبر قيم التسامح من القيم الاجتماعية، لما فيها من تأكيد للعوامل الإنسانية والغيرية ومحبة الناس(سهام حنفى: ٢٠٠٥: ٣٠)، وقدد حددت (عزة فتحى وآخرون: ٢٠١٦: ٨٥) قيم التسامح الفكرى والاجتماعى فى: قبول الآخر، والاحترام المتبادل، والمسالمة واللاعنف، والمودة والرحمة والألفة والتقارب، والمجاملة والمشاركة الاجتماعية، وضبط النفس وكظم الغيظ، والمحبة والتعاطف، وحسن النية وتجنب سوء الظن، والاعتذار واللين والمسامحة، والتواضع ومساواة الذات بالآخر.

بينما حددت (آمال جمعة: ٢٠١٧: ٣٤ – ٣٥) قيم التسامح الفكرى والاجتماعى فى قيم: تقبل الذات، والتعاطف، وتقبل الآخر، والاحترام، والعفو. وقد تناولت (صفاء خضير: ٢٠١١: ٥٦١) قيم التسامح تحت مسمى مهارات، وحددتها فى: البعد عن التعصب الأعمى،

والتعبير عن الرأى، والديمقراطية، والموضوعية فى الحكم على الأمور، وتقدير ظروف الآخرين، والتواصل فى الحوار مع الآخرين.

وحدد (سامح إبراهيم عوض الله : ٢٠١٩ : ١٩٥- ٢٦٤) قيم التسامح الفكرى والاجتماعى المناسب تنميتها لدى طلاب المرحلة الثانوية فى القيم التالية:

١- **تقبل الذات:** قيمة تهتم بوصف شكل العلاقة بين الإنسان وذاته، وتعنى قدرة الفرد على فهم نفسه والتوافق معها والتحكم فى مشاعره وسلوكياته، واكتشاف نقاط قوته وضعفه، وعلى تحقيق ذاته من خلال استثمار أقصى ما تسمح به إمكاناته وقدراته واستعداداته، وهذا يعنى تكوين الفرد اتجاهات إيجابية نحو نفسه.

٢- **تقبل الآخر والاحترام المتبادل:** قيمة تهتم بوصف الاتجاهات الإيجابية للفرد نحو الآخرين، ويجب التفرقة بين قبول الآخر واحترامه، فقبول الآخر يعنى تفهم أفكاره ومعتقداته وسلوكياته والتى قد يختلف معها الفرد، وقد يكون ذلك مفروضًا بسبب ضرورات الحياة الاجتماعية والمصالح المشتركة، بينما احترام الآخر يتضمن حالة من الوعى والإقرار بحقوق الآخر وعدم انتهاكها، ويؤدى الاحترام المتبادل إلى تكوين علاقات اجتماعية راقية، تشكل أساسًا لإقامة مجتمع متسامح، لا يتميز بالاستقرار فحسب؛ بل باحترام تنوعه الذى يغنيه.

وقد دعا الإسلام لتقبل الآخر، واقامة العلاقات الإنسانية على أساس من الاحترام المتبادل، يقول تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"(الحجرات:١١).

٣- **التعايش السلمى:** يعنى العيش المشترك، والقبول بالتنوع، بما يضمن وجود علاقة إيجابية مع الآخر، فعندما تكون العلاقات إيجابية وعلى قدم المساواة معه، فإن ذلك سوف يعزز الكرامة والحرية والاستقلال (كومار ريسنكة:٢٠١٠ : ١٤٣)، ولا يقتصر التعايش السلمى على العلاقات بين الدول، ولكنه يشمل أيضًا العلاقات داخل المجتمع والدولة الواحدة، ويتمثل فى حسن التعايش مع الآخر، ونبذ العنف والقهر والخوف، وتفضيل اللجوء إلى الوسائل السلمية والقانونية لحل الخلافات والنزاعات، وهو نقيض العنف الاجتماعى.

٤- **التراحم والتعاطف:** من أهم أسباب ترابط المجتمع وتماسكه، نشر الرحمة والعطف بين أعضاء المجتمع، وقد قال الرسول ﷺ: "مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"، وفى الحديث الشريف تنبيه إلى أهمية قيم التراحم والتعاطف بين المؤمنين فى بناء المجتمع.

٥- **العفو والصفح:** من أهم الركائز التى يقوم عليها المجتمع، العفو والتجاوز عن أخطاء الآخرين، والتماس الأعذار لهم، ومقابلة الإساءة منهم بالإحسان، والبحث عن صفاتهم الإيجابية بدلًا من التركيز على عيوبهم وأخطائهم، والعفو نقيض الثأر والانتقام واستخدام العنف، والصفح ترك التأنيب والعتاب.

فالتسامح اتجاه إيجابى لدى الفرد للعفو والصفح عن الآخرين ممن أساءوا إليه، واستبدال مشاعر الغضب والاستياء بأخرى إيجابية (ميرفت عزمى: ٢٠١٥: ٣٧١)، ولقد أشار فولتير إلى هذا المعنى حين قال: إن التسامح نتيجة ملازمة لكينونتنا البشرية، إننا جميعًا ضعفاء وميالون للخطأ، لذا دعونا نسامح بعضنا البعض، ونتسامح مع بعضنا بشكل متبادل، وذلك هو المبدأ الأول لقانون الطبيعة، المبدأ الأول لحقوق الإنسان كافة. (ماجد الغرباوى: ٢٠٠٨: ١٧)

ويحتاج المجتمع المصرى اليوم فى ظل ظروفه الراهنة إلى الفرد المتسامح اجتماعيًا، بقدر حاجاته إلى وحدة وترابط كل أفراده، حيث يواجه عديدًا من التحديات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية التى زادت تداعياتها فى الآونة الأخيرة، بما انعكس على الأفراد وقيمهم وممارساتهم السلوكية، وعلاقاتهم واتجاهاتهم نحو المجتمع، مما قد يؤثر فى بناء المجتمع وتماسكه. (سامح ابراهيم :٢٠١٩ ، ٢٠٠)

تعليق عام على القيم الاجتماعية والفلسفية:

إن كل قيمة من القيم السابق عرضها لا تعمل منفردة وكأنها هى القيمة الاجتماعية الفلسفية الوحيدة الجديرة بالإتباع، ولكن كل منها يتطلب الآخر، فهذه القيم ليست متعارضة متصارعة يناقض بعضها البعض، بل هى على العكس من ذلك متلائمة ومتوافقة على الرغم من التفرد والتميز لكل منها، إلا أن هذا التفرد والتميز لا يجعل من قيمة تعلو على قيمة أخرى أو يضحى الإنسان بواحدة من أجل أخرى.

كما تتعاون المجتمعات تتعاون أيضًا القيم الاجتماعية والفلسفية، وتتكامل فى داخل إطار واحد يجمعها وينظم سير العمل فيما بينها من أجل الوصول إلى سلوك إنسانى أخلاقى متفق عليه، فالحياة لن تهنأ لنا فى عصر المعلومات، الحافل بالاحتمالات والتناقضات، دون هذا الزاد الفلسفى والاجتماعي من المثل والأخلاق والقيم.

فأى مجتمع فى حاجة إلى القيم والأخلاق بنفس القدر الذى يحتاج فيه إلى العلم والتكنولوجيا؛ لأن كلاهما قادر على التغيير والتطوير والتنظيم فى داخل المجتمع، بل إن كل منهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به، فقد أدت التكنولوجيا إلى تغيرات جذرية فى القيم والأخلاق من خلال ظهور قيم جديدة على السطح وجب على الإنسان الاهتمام بها، كما أثرت القيم على العلم بحدة في بعض الأحيان وجعلته يتوقف عن الاستمرار فى بعض تجاربه التى أضرت بالإنسان.

إن الصلة وثيقة بين الفلسفة والقيم والمجتمع والإنسان، فالإنسان لا يمكن أن يحيا فى المجتمع بدون القيم الاجتماعية والفلسفية التى تضبط مساره وتوجه تحركاته وترشده فى علاقاته مع الآخرين.

- **الاتجاهات الحديثة فى تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية:**

وقد قام الباحث برصد وتحليل أهم الاتجاهات الحديثة فى تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية لدى المتعلمين فى مختلف المراحل التعليمية، وهى كالتالى:

- إن أهم ما يميز المشهد التربوي الحاضر، هو ميلاد جديد أو عودة للاهتمام على مستوى الدراسة والبحث، بقيم التربية وبعدها الأخلاقي "مدرسة القيم"، بعدما سادت منذ الثمانينات من القرن الماضي، النزعة التقنية والنموذج التكنولوجي في التعليم، فظهر ما يعرف بالمنهج الإنساني والمنهاج الأخلاقي. (محمد الدريج : ٢٠٠٩)
- ويعد تطوير مناهج المواد الفلسفية والاجتماعية من أجل تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية هدفا مجتمعيا يمكن من خلاله بناء وتشكيل شخصية الأفراد، ويحدث ذلك إذا تم هذا التطوير وفق المعايير والمقاييس التربوية العالمية، وبما يواكب التطورات الحديثة في الميادين المختلفة، ويتمشى مع فلسفة المجتمع وثقافته وحاجاته.
- ويستدعى تطوير مناهج المواد الفلسفية والاجتماعية من أجل تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية مراجعة كل الاتجاهات والرؤى العالمية الحديثة والمعاصرة التى تناولت تطوير مناهج هذه المواد بما تتضمنه من تطوير فى الأهداف والمحتوى وطرق وإستراتيجيات تدريسه وتقويمه والتى تزخر بها الأدبيات التربوية.
- فلا يستطيع التعليم باعتباره ظاهرة اجتماعية فاعلة أن ينعزل عما يدور حوله فى مجتمعه الضيق أو فى مجتمعه الواسع وهو المجتمع العالمى، ومن ثم فهو متأثر لا محالة خاصة فى مناهجه بالتغيرات العالمية الحادثة، من هنا تصبح التغيرات العالمية أساسا لا يمكن إغفاله عند تطوير المناهج. (محمود كامل الناقة: ٢٠١١: ٢٠)

القيم الاجتماعية والفلسفية بين الغرس والتنمية:

يكتسب الإنسان خلال حياته العديد من القيم، خلال ظروف ومواقف حياتية مختلفة، وعن طريق قد يكون في بعض الأحيان مقصود ومباشر، وفي البعض الآخر يكون غير مقصود وغير مباشر، سواء عن طريق الأسرة أو المؤسسة الدينية أو المؤسسة التربوية أو الإعلامية أو المجتمع المحيط كجماعة الأصدقاء والجيران.ويفرق المتخصصون في مجال القيم بين عملية غرس القيم، وعملية اكتساب القيم، وعملية تغير أو تنمية القيم على النحو التالي:

أ) **عملية غرس القيم:** هى العملية التي يتبنى من خلالها الفرد مجموعة من القيم لم يكن يتبناها قبل ذلك، وهى عملية إدماج نسق القيم في ذوات الأفراد، ومن خصائص هذه العملية أنها عملية اجتماعية نفسية متداخلة، تعتمد على التفاعل بين الفرد والمجتمع، كما تعتمد على القصد أكثر من اعتمادها على العفوية، ولا تتم إلا من خلال التربية، ويفهم من ذلك أن عملية غرس القيم تعتمد على الفرد وقدراته وموروثاته الثقافية والعقائدية وتتأثر بظروف التنشئة الاجتماعية.

ب) **عملية اكتساب القيم:** تعرف بأنها العملية التي يتبنى الفرد من خلالها مجموعة من القيم مقابل التخلي عن قيم أخرى، والقيم التي يتبناها الفرد يحدث لها نوع من التداخل والانتظام في بناء النسق القيم.

ج) **أما تغير القيم أو نموها وارتقائها فيقصد به:** تحرك وضع القيمة على هذا المتصل (التبني، التخلي) داخل النسق القيمي، فالاكتساب إذن يعني مسألة الوجود أو عدم الوجود، أما التغير فهو في الدرجة التي يتحدد بها هذا الوجود، ويتضمن إعادة توزيع الفرد لقيمه، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي.

وقد تعددت الرؤى والأفكار المطروحة لتنمية القيم الاجتماعية والفلسفية بالشكل الذى يساعد طلاب اليوم على مواكبة التطورات الحاصلة، وإكتسابهم المعارف والمهارات والخبرات اللازمة، لأن يصبحوا أعضاء فاعلين فى مجتمعاتهم وفى حياتهم الخاصة.

وبالرغم من اختلاف الرؤى وتعدد الأفكار إزاء تنمية القيم بشكل عام، إلا أن جميع الأنظمة التربوية بمختلف أنواعها لا تحيد عن السير فى ثلاثة اتجاهات مركزية لتنمية القيم وهى: الاتجاه التقليدى الماضوى، والاتجاه الحداثى العصرى، والاتجاه التوفيقى.

- **الاتجاه التقليدي الماضوي:** يتمثل فى النزوع إلى تبني مرجعية ذات اتجاه تقليدي، سواء على مستوى الأسس والمنطلقات، أو على مستوى الآليات والوسائل، أو على مستوى المحتويات والمضامين، أو على مستوى المبادئ والقيم، وذلك بهدف بناء شخصية المتعلمين؛ وجدانيا ومعرفيا وسلوكيا، وفقا لثقافة المجتمع ومعاييره وقيمه.

كما يتمثل هذا الاتجاه فى النقل المستمر لمضامين ومحتويات ثقافية وقيمية تحظى بنوع من التقدير والتبجيل من جيل لآخر، بوصفها قيما مؤسسة للهوية الخاصة بالجماعة وبذاكرتها التاريخية والرمزية، والعمل على إعادة إنتاجها وإدماجها في البنيات الاجتماعية والوجدانية والذهنية والسلوكية للأفراد.(محمد لهبوب، ٢٠١٩، ١٥٣)

ويقوم هذا الاتجاه على مرجعية ثقافية تقليدية محافظة؛ وعلى العودة إلى الماضي وإعادة إحياءه وبعثه في الحاضر والحفاظ عليه، اعتمادا على آليات النقل من الموروث الثقافى.

- **الاتجاه الحداثي العصري:** إنه اتجاه نقدي للموروث التقليدي الماضوي يرتبط بالتطورات على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمعرفية والتقنية والثقافية والقيمية.

ويتحدد الاتجاه الحداثي العصري بارتباطه بتحديات الحاضر واستشراف المستقبل، وفقا لمنطق التقدم والتطور، وما يستلزمه ذلك من إبداع وتحرر، ورفض للأنساق المغلقة، وانعتاق من الثابت والتقليدي، وانفتاح على كل ماهو متغير وعصري، إنه اتجاه يرفض إعادة إنتاج الماضي بشكل آلي والسعي لتحقيق الأفضل، عن طريق إعطاء الأولوية للاختلاف بدل التطابق، وللعقل بدل النقل، وللنسبي بدل المطلق، وللنقد بدل التسليم، وللتجديد بدل التقليد

- **الاتجاه التوفيقى:** يسعى إلى الجمع أو الدمج بين الاتجاهين السابقين، من خلال الجمع بين ثقافة الماضى الثابتة وثقافة المستقبل المنفتحة.

يحاول الاتجاه التوفيقي احتواء التنافر بين مرجعيات مختلفة وقوى متصارعة، ويراهن على تجاوز التناقض والصراع عن طريق تقريب وجهات النظر وتذويب الاختلافات والارتكاز على ما هو إنساني ومشترك.

ويعد الاتجاه التوفيقي اتجاه مركب ينبني على منطق مزدوج؛ يراهن من خلاله على تربية المتعلمين على التشبع بالثقافة التقليدية الماضوية، وفي نفس الوقت الانفتاح على ثقافة كونية حداثية وعصرية.

- **أن الاتجاه التوفيقي مشدود زمنيا للماضي من جهة،** وللحاضر والمستقبل من جهة أخرى، إذ يحاول إعادة إنتاج الماضي ويتطلع في نفس الوقت لكسب تحديات الحاضر ورهانات المستقبل، وهذا ما يجعل منطقه الزمني منطقا منغلقا لارتباطه بالماضي، وفي نفس الآن منفتحا لارتباطه بالحاضر والمستقبل

يبني هذا الاتجاه على مجموعة من الثنائيات القطبية المتجاورة: (أصالة/ معاصرة)، (نقل/ عقل)، (ماض/ مستقبل)، (خصوصي/ كوني)، (محلي/ عالمي)، (ثابت/ متغير)، (واحد/ متعدد)، (مطلق/ نسبي) ويحاول الدمج والجمع بينها في نظام توفيقي.

لكن بالرغم مما يمكن أن يظهر عليه كل اتجاه من هذه الاتجاهات السابقة من قوة وانسجام، وبالرغم مما يمكن أن يعكسه كل واحد منها من استجابة لتحديات الواقع الاجتماعي والسياسي والتربوي؛ بحسب طبيعة المجتمعات وديناميتها وتطلعاتها، إلا أن لكل اتجاه من هذه الاتجاهات الثلاثة حدودا يقف عندها وجوانب ضعف وقصور، ترتبط بالطبيعة المعقدة والمركبة والدينامية، التي تميز المجتمعات البشرية المعاصرة في تعددها وتنوعها واختلافها، كما هو

الشأن بالنسبة للاتجاه التقليدي الماضوي والاتجاه الحداثي العصري، أو بصعوبة البناء والتنزيل؛ كما هو الشأن بالنسبة للاتجاه التوفيقي. (محمد لهبوب، ٢٠١٩، ١٧٠)

وتؤكد (هند محمد، ٢٠٢١، ٧٣٠) إن الاتجاهات التربوية الحديثة أصبحت تركز على التعلم الذاتي، وضرورة تربية الجيل وفق متطلبات بيئة تكنولوجيا المعلومات، واستخدام البرمجيات التعليمية التي لا مفر من التعامل اليقظ معها لإعداد جيل يتعامل مع روح العصر وجوهره، خاصة وأن تأثيرات التكنولوجيا تمتد لتغير مختلف الجوانب الاجتماعية والقيم الاخلاقية.

إن تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية يتطلب تحويلها إلى فعل ونشاط وعدم الاقتصار على تقديم كم من المعلومات والأفكار والنظريات الحديثة.

وهذا يعنى أن تستوعب مناهج المواد الاجتماعية والفلسفية التحولات والتحديات المعاصرة والمستقبلية، ولهذا أصبح من الضروري تطوير أهدافها ومداخل وطرق تدريسها، وتوظيف مصادر المعرفة المتاحة، وتطوير مخرجات هذه المناهج ونوع الفرد الذي تكونه، ومقومات شخصيته المنتجة.

إن عصر المعلومات الذى فتح أبوابًا جديدة أمام العقل الإنسانى أصبح يتبنى قيمًا جديدة من شأنها أن تحدث ثورة فى مجال التعليم، وأبرز هذه القيم هى التفاعلية، بعبارة أخرى التعليم ينبغى أن يقوم لا على التلقين لتدريب الذاكرة، وإنما على الفكر التحليلى والرؤية النقدية، فى إطار من التفاعل بين المرسل وهو هنا المعلم، والمستقبل أى الطالب. (السيد يسين: ٢٠١١: ٥٢)

تبنى قيم التفاعلية من خلال تنويع الأعمال والأنشطة، والتركيز على الدراسات الميدانية لتوثيق الصلة بين الجانب النظري، والجانب العلمي، وذلك من خلال التخفيف من كم المعلومات النظرية دون الإخلال بالمستوى العلمي العالمي، مع دعم المناهج بمزيد من الممارسات العملية التي تبث الحماس للتعليم وتنمية المواهب وإبراز الإمكانات الفردية والجماعية لدى المتعلمين.

خاتمة:

يستخلص مما سبق أن تناول القيم الاجتماعية والفلسفية بالتحليل، وربطها بمناهج المواد الاجتماعية والفلسفية، وبالبيئات المحلية يمكن أن يعمل على تنميتها لدى الطلاب، بالاضافة إلى استعانة المعلم بمواقف حياتية وأحداث جارية، قد تكون وقعت فى الماضى أو ما زالت تحدث فى المجتمع ويعايشها الطلاب ويتأثرون بها فى حياتهم المعاصرة، ويمكن من خلالها استشراف مواقف وأحداث مستقبلية.

- **ومن الأساليب والإجراءات التى تسهم فى تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية ما يلي:**
  - المحافظة على التوازن بين القيم الروحية والمادية لدى المتعلم.
  - تنشيط معارف وخبرات الطلاب السابقة وتوظيفها والانطلاق منها.
  - الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة فى عملية تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية.
  - إضافة جوانب إثرائية إلى كل المواد الفلسفية والاجتماعية لمراعاة المتفوقين من الطلاب.
  - استخدام التقويم الشامل كمدخل لتنمية القيم الاجتماعية والفلسفية.
  - دمج مهارات القرن الحادى والعشرين بالقيم الاجتماعية والفلسفية، من خلال تبنى مهارات التفكير والنقد والإبداع.
  - استحداث مواد دراسية جديدة تحت مظلة مناهج المواد الفلسفية والاجتماعية، مثل: «القيم والأخلاق المشتركة بين الحضارات»، «القيم البيئية»، «القيم الإنسانية»، «القيم والحياة»، «القيم المدنية».تراعى الماضى والحاضر والمستقبل، وتأخذ فى الحسبان العلاقات البينية والتكاملية بين المعارف.
  - إتاحة الفرص الملائمة أمام المتعلمين لاتخاذ القرارات بأنفسهم، وتحمل نتائجها ومسئولياتها.
  - ترسيخ الخصوصية الثقافية لدى المتعلمين والتأكيد على منظومة القيم الثقافية للمجتمع الذى ينتمون إليه، مع التأكيد على تنمية مهارات التحليل الثقافى لتشخيص أمراض المجتمع الثقافية واقتراح الحلول وعلاج المشكلات.
  - التأكيد على تنمية الوعى الناقد لدى المتعلم بالقضايا والتحديات المعاصرة والمستقبلية.
  - تنمية مهارات التفاوض، ومهارات التواصل الثقافى والحضارى، لسهولة تبادل الخبرات، وفهم الثقافات المختلفة.
  - تنمية قيم السلام والتعايش الحضارى واحترام المتعلمين للاختلافات الثقافية بين البشر.
  - تنمية روح المبادرة والرغبة لدى المتعلم فى التجريب والتجديد، وبث الثقة فى نفسه.
  - تنمية قدرة المتعلم على ضبط النفس وتحمل المسؤولية، والالتزام بقيم وتقاليد المجتمع.
  - تحرير المتعلمين من قوالب التفكير النمطى والآراء المتداولة ومن سيطرة الأحكام المتسرعة.

- تكوين عقول حرة ومفكرة وقادرة على مقاومة مختلف أشكال الدعاية والتطرف والإقصاء والتعصب.
- استثمار وتوظيف الجوانب التطبيقية والوظيفية للمواد الفلسفية والاجتماعية (للفرد والمجتمع).
- تنمية ثقافة المواطنة بداية بالمحلية وصولا إلى العالمية والرقمية.
- تنمية مهارات التفكير بكل أنواعه ومستوياته.(الإبداعى، النقدى، الإيجابى، الشمولى، الفلسفى، التأملى، ....) بما يتواءم مع متطلبات حياتهم اليومية، وحياتهم المستقبلية.
- توفير الفرص التي تمكَّن المتعلمين من اكتشاف قدراتهم وامكاناتهم وطاقتهم بأنفسهم، مما يساعدهم فى تطوير شخصياتهم باستمرار.
- الربط بين المواد الفلسفية والاجتماعية والمؤسسات الصناعية والمهنية والتجارية والخدمية.
- تحديد ومراجعة دقيقة للمصطلحات والمفاهيم والقضايا المطروحة والمرتبطة بالإنسان والمعرفة والوجود.

إن تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية قادرة على تغيير العالم إلى الأفضل؛ حيث يمكن من خلال هذه القيم تطوير فكر البشر، وإذا تطور فكر الإنسان أصبح إنسانًا مستنيرًا قادرًا على الحوار المنطقي العقلاني الذى يمكنه من إيجاد الحلول للتصدي للتحديات المعاصرة، فيتعلم كيف يكون بالفعل إنسان فى مجتمعه يفكر ويتفاعل اجتماعيا، ويستطيع التعايش مع الحاضر بتحولاته الكبرى، والتخطيط للمستقبل والاستعداد لتلبية متطلباته.

كما أن تنمية القيم الاجتماعية والفلسفية في ضوء التحديات المعاصرة والمستقبلية تحتاج إلى مزيد من الاهتمام، فلا يوجد اتجاه تربوى وتعليمى واحد يمكن من خلاله تنميتها عند المتعلمين، ولذلك فهى تحتاج إلى معلم مربي واعي وقادر على القيام بهذه المهمة النبيلة، من خلال إتباعه لأساليب وطرق منهجية سليمة في التعامل مع الطلاب، وأن يضع في اعتباره أن لكل وقت وزمان خصائص وظروف خاصة، كما يضع في اعتباره تغير وسائل التربية والتعليم وتطورها كذلك طرق الاتصال والإعلام والتأثير في الآخرين.

المراج

القرآن الكريم.
الحديث الشريف.
إبراهيم أنيس وآخرون (٢٠١١): **المعجم الوسيط**، ج٢ (القاهرة: مجمع اللغة العربية، ط ٥)
السيد يسين (٢٠١١): آفاق المعرفة فى عصر المعلومات (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب).
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (٢٠٠٠) : مدرسة المستقبل، الوثيقة الرئيسية المقدمة في المؤتمر الثالث عشر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس: المجلة العربية للتربية، مجلد ٢٠، العدد ٢، ديسمبر، ص ص ٨ – ٧١).
إلهام عبد الحميد فرج بلال (١٩٩٢): أثر استخدام منهج الفلسفة بالمرحلة الثانوية على تعلم القيم، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس).
اليونسكو (٢٠١٥): إعادة التفكير فى التربية والتعليم نحو صالح مشترك عالمى (فرنسا: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة)
آمال جمعة عبد الفتاح (٢٠١٧): فاعلية استخدام إستراتيجية محطات التعلم فى تدريس علم الاجتماع على تنمية التفكير الاستدلالى والتسامح الاجتماعى لدى طلاب المرحلة الثانوية. (مصر: مجلة الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية، ع ٩٦، ديسمبر، ص ص ١ – ٧٤).
أندريه لالاند (٢٠٠١): موسوعة لالاند الفلسفية. المجلد الثالث، تعريب: خليل أحمد خليل، ط٢.(بيروت: منشورات عويدات).
جون ستيوارت ميل(٢٠١٩): الحرية، ترجمة: طه السباعي (القاهرة: آفاق للنشر والتوزيع)
خالد تلعيش وفطيمة حدادو(٢٠٢١): سوسيولوجيا القيم الاجتماعية. مجلة الناقد للدراسات السياسية،مج ٥،ع ١، ص ص ١٢٧ – ١٤٥.
سامح إبراهيم عوض الله عبد الخالق (٢٠١٩): وحدة مقترحة فى ضوء أبعاد الهوية الثقافية لتنمية التسامح والتماسك الاجتماعى لدى طلاب المرحلة الثانوية واتجاهاتهم نحو مادة التربية الوطنية. مجلة الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية، كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد (١١١)، ص ص ١٩٥– ٢٦٤
سعيد إسماعيل على (١٩٨٩): هموم التعليم المصري (القاهرة، عالم الكتب)

سهام حنفى محمد (٢٠٠٥): تقويم الكتب المقررة لمادة الفلسفة بالمرحلة الثانوية من منظور قيمى. مجلة الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية، ع ٣، فبراير، ص ص ١ – ٧٣).

صفاء خضير (٢٠١١): استخدام البرنامج فى طريقة خدمة الجماعة وتنمية مهارات التسامح الاجتماعى لدى الشباب الجامعى: دراسة تجريبية. (جامعة حلوان: كلية الخدمة الاجتماعية، مجلة دراسات فى الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، ع٣٠، ج٢، أبريل، ص ص ٥٥٢ – ٥٨٢).

عبد القادر الشيخلى (٢٠١٧): ثقافة التسامح: ضرورة أخلاقية واجتماعية وسياسية.(الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطنى)

عبد الودود مكروم(٢٠٠٥): القيم في الفكر الغربي"رؤية وتحليل" (القاهرة: دار الفكر العربي).

عزة فتحى على وآخرون (٢٠١٦): برنامج مقترح يستخدم إستراتيجية المحاكمة العقلية فى تنمية قيم التسامح ومهارات التعايش مع الآخر لدى الطلاب الدارسين لمادة علم النفس بالمرحلة الثانوية. (جامعة عين شمس: كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، مجلة البحث العلمى فى التربية، ع١٧، ج٢، ص ص ٦٧ – ٩١).

كومار ريسنكة (٢٠١٠) ما هو التعايش؟ ترجمة: ذاكر آل حبيل. (منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، مجلة الكلمة، س١٧، ع٦٨، ص ص ١٤٢ – ١٥٢).

ماجد الغرباوى (٢٠٠٨): التسامح ومنابع اللاتسامح .. فرص التعايش بين الأديان والثقافات (بغداد: معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، الحضارية للطباعة والنشر).

محمد الدريج (٢٠٠٩): تطوير المناهج الدراسية والتحولات في المشهد التربوي المعاصر، مجلة أنفاس، مطبوع بتاريخ: ٢٠١٨/١١/١٥، متاح على: http://www.anfasse.org/

محمد سعيد أحمد زيدان (٢٠٠٦) : القيم الفلسفية في الأمثال الشعبية، تقديم: كمال نجيب الجندي، (القاهرة: سفير للإعلام والنشر، ط١، ٢٠٠٦)

محمد لهبوب (٢٠١٩) : اتجاهات نظرية فى التربية على القيم: مقاربة تحليلية نقدية. (المجلة العربية لعلم النفس، المجلد ٤ ، العدد ١) ص ص ١٥١ – ١٧٢.

محمود كامل حسن الناقة(٢٠١١): أسس تطوير المناهج الدراسية ومعاييره في ضوء التحديات المعاصرة. (دراسات فى المناهج وطرق التدريس، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، ع ١٧٤، سبتمبر، ص ص ١٤ – ٤٦)

مراد وهبة (٢٠١٦): المعجم الفلسفى. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب).

ميرفت عزمى زكى (٢٠١٥): التسامح والتفاؤل كمنبئ بطيب الحياة النفسية لدى عينة من المراهقين. (جامعة الإسكندرية، مجلة كلية التربية، مج ٢٥، ع ٥، ص ص ٣٦٣ – ٤٢٣).

نبيل علي (٢٠٠١): الثقافة العربية وعصر المعلومات. (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، عدد ٢٦٥، يناير).

نجية ناجى الوسيع (٢٠١٢): التسامح ودوره فى تحقيق المصالحة وتحجيم العنف. (ليبيا: الجامعة الأسمرية للعلوم الإنسانية، مؤتمر مصالحة الوطنية، مارس، ص ص ٦٧٣ – ٦٨٧).

هند محمد بيومى (٢٠٢١): دور القيم الأخلاقية في مواجهة التحديات التكنولوجية المعاصرة والمستقبلية، المؤتمر البيئي الأول لقطاع خدمة المجتمع وتنمية البيئة بكلية التربية جامعة الفيوم "التنمية المستدامة وبناء الإنسان فى ظل تحديات العصر"، نوفمبر ص ص ٧٢٧، ٧٣٦

وريدة دالى خيلية (٢٠١٨) : التسامح: المصطلح، المبدأ فى الإسلام والديانات الأخرى. (الجزائر: مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العام الخامس، ع ٤٤، يوليو، ص ص ٨٩ – ١١٠).